ما فعلوا ولقوا من العذاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من
اهل الكفر والفساد وقوله تعالى كذبوا بايات الله تفسير لدابهم
الذي فعلوه لا كداب ال فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه
بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي
فعل بهم والغالب ان كونه من لوازم جنايا تهم وتبعاتها المتفرعة
وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افاده الفا من السببية مع الاشارة
الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العذاب ويجوز
ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء
للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم
مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس
رضي الله عنه ان ال فرعون ايقنوا ان موسى عليه الصلاة والسلام
نبي الله فكذبوه كذلك هولاء جاهم محمد صلى الله عليه وسلم
بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بال
فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مما يتصور
مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب
اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم عليما
مايوجبه من الكفر من المعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما
في الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد العقاب
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك
الى اخره استيناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من
كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع
بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لانفس ما حل بهم من
العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم

وذنوبهم

وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم
تغيير نعمته تعالى على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب
ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم
الغايه من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم
بناء على تخييل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف
عنه ركوب شطط هايل وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر
الكفر بايات الله واسقاط له عن مرتبة ايجاب العقاب في مقام
تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم
السيئة دون ان يقع ابتداء قدرته تعالى على ذلك بان
الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها
اي لم يتبع له سبحانه تعالى ولم يصح في حكمته تعالى ان يكون بحيث
يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او
هانت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا
عليها وقت ملابستهم بالنعمة وبتصفحوا ما ينافيها سواء كانت
احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة
الى الحادثة كدأب هولاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة
عبدة اصنام مستمرين على حاله مصححة لافاضة نعمة الاهمال
وسايرالنعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالبينات غيروها الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه صلى الله
عليه وسلم وعادوه ومن تبعه من المومنين وتحزبوا عليهم
يبغونهم الغوايل ففواتح الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الاهم بال
وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكى فحذفت النون تخفيفا
لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله

Copyright King Saud University